

اجتهادات زلزال السادات

كانت زيارة الرئيس الراحل أنور السادات إلى القدس المحتلة، في مثل هذا اليوم قبل 40 عاماً، وصل أول رئيس عربي إلى إسرائيل، زلزالاً أطاح ببعض ما كان يُعتبر مُسَلِّمات أو ثوابت عربية.

بدأت مقدمات ذلك الزلزال قبل الزيارة بعشرة أيام عندما أعلن السادات في نهاية خطابه أمام مجلس الشعب استعداداه للذهاب إلى إسرائيل والحديث أمام الكنيست0 وقف العالم ساعتهما على قدم واحدة بين مُصَدِّق ومُتَشَكِّك. ظن كُثر في البداية أن السادات يناور، أو يسعى إلى تعبئة ضغط دولي على إسرائيل التي كان اليمين المتشدد قد وصل إلى الحكم فيها للمرة الأولى قبل عدة أشهر، وأغلق النافذة الصغيرة التي حاول وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر فتحها لعله يجد وراءها طريقاً يقود إلى تسوية سلمية.

لم يعرف معظم العالم وقتها أن اتصالات سرية سبقت ذلك الحدث الكبير. ورغم أن السادات كان يعرف مسبقاً، بموجب تلك الاتصالات، فقد تأخر في تكليف من يكتب هذا الخطاب. ووقع اختياره في البداية على الراحل الكبير د. بطرس غالي، الذي تولى وزارة الدولة للشئون الخارجية بعد محمد رياض الذي استقال اعتراضاً على الزيارة، ومعه وزير الخارجية وقتها إسماعيل فهمي.

كتب د. غالى الخطاب بطريقة أستاذ العلاقات الدولية والقانون الدولي، فجاء قوياً مُعبِّراً عن المواقف والمعانى التى أرادها السادات. ولكن لغته الرصينة المتأثرة بالخلفية الأكاديمية، والمعتمدة على الحجة والمنطق والقواعد القانونية، لم تكن ملائمة لما أرادته السادات، وهو أن يخاطب الإسرائيليين فى بيوتهم، وقد توقع ألا يتخلف أحد منهم عن الاستماع إليه. ولذلك كلف الصحفى الكبير الراحل موسى صبرى بكتابة صيغة أخرى للخطاب بلغة عاطفية تصور أنها يمكن أن تؤثر فى نفوس الإسرائيليين.

ولبت تلك الصيغة ما تصور السادات أنه سيحدث أثراً لدى الرأى العام الإسرائيلى الذى بشرّه قائلاً فى بداية الخطاب (جئت أليكم اليوم على قدمين ثابتتين، لكى نبني حياة جديدة، لكى نقيم السلام على هذه الأرض، كلنا - مسلمين ومسيحيين ويهود - نعبد الله ... املأوا الأرض والفضاء ..). بترانيم السلام، واملأوا الصدور والقلوب بآمال السلام.

ولكن السادات رحل قبل أن يرى كيف صار معظم الإسرائيليين أكثر رفضاً للسلام الذى حاول إقناعهم به.